يمنع ، ولو كان (الجمود) يصلح لأن يراد به السلامة من البكاء ، ويصح أن يدل به على أن الحال حال مَسَرَّة وحبور ، لجاز أن يدعى للرجال فيقال : لا زالت عَيْنُك جامدة . وعلى ذلك قول أهل اللغة : عين جمود ، لا ماءَ فيها . وسنة جمود ، لا مطرَ فيها . وناقة جماد ، لا لبنَ فيها .

ولو قيل إن الشاعر قصد أن يقول : إني اليوم أتجرَّع غُصَصَ الفراق ، وأحمل نفسي على مُرِّه ، وأحتمل الحزن الذي يفيض الدمع من عيني لكي أتسبب بذلك إلى وصل يدوم ، ومسرَّة تتصل ، حتى لا أعرف بعد ذلك الحزن أصلا ، ولا تعرف عيني البكاء ، وتصير في أن لا ترى باكية أبدًا كالجمود التي لا يكون لها دمع – لما استقام الإطار الدلالي للبيت ، بل لوقع في التناقض ، وكأنه يريد من عينه أن تبكي ثم لا تبكي ؛ لأنها خلقت جامدة لا ماء فيها ، وذلك من التهافت والاضطراب الذي لا تنجح الحِيَلُ التعبيرية فيه [1].

ولا يمكن إدراك مفهوم الدلالة النَّحْوية عند الجرجاني إلا من خلال نظرته إلى مستوياتها ، فالمعنى يمثِّل المستوى الأول الذي يتصل بالصَّواب والصحَّة ، والدلالة تأتي في المستوى الثاني الذي يقوم على خواص الاستبدال في التركيب ، والكلام على ضربين : ضرب يمكن أن نصل إليه بإدراك المعنى المباشر ، كأن تعبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فتقول : خرج زيد ، وضرب لا تصل منه إلى الغرض بمعنى اللفظ وحده ، ولكن نجد لذلك المعنى دلالة ثانية ، وبعبارة مختصرة – على حد قول عبد القاهر – : المعنى ومعنى المعنى ، ويعني بالمعنى : المفهوم من الظاهر الذي نصل إليه بغير

(١) الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص ٢٦٧–٢٦٩ .